الإنسان بين ثبات القيم الأخلاقية ومتغيرات الأحوال النفسية

إعداد الأستاذة الدكتورة

فداء الدين نسيبة جميل صقر

أستاذ مساعد في كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الجامعة العالمية، بيروت، لبنان

الانسان بين ثبات القيم الاخلاقية ومتغيرات الأحوال النفسية

فداء الدين نسيبة جميل صقر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدراسات الإسلامية، الجامعة العالمية، بيروت، لبنان.

البريد الإلكتروني: noussayba@hotmail.com

ملخص البحث:

إن الصبر والثبات على الأخلاق الحميدة مما حثَّ عليه الشرع الحنيف، ونجد في السيرة النبوية وأحوال الصحابة ما يتجلى فيه هذا الالتزام، مما ساهم بتقوية الثقة بهذا الدين واطمئنان الناس إلى المسلمين وائتمانهم في المعاملة، وظهر هذا حتى في السياسة مع المسلمين وغير المسلمين. ولهذا الثبات وعدم الاضطراب مع تغير الأحوال تعلق بأحكام شرعية في القضاء والشهادة وغير ذلك. ويؤثر على كثير من جوانب حياة المسلم، في البيت والعمل والمجتمع وبين الأحباب والأصدقاء. وأما في البيت، فهذا له تعلق بما بين الزوجين وبما بين الأهل والأولاد. وأما في المجتمع، فنرى ذلك بين الأقارب والأرحام، وبين الجيران، ومع أطياف المجتمع المختلفة التي تتداخل في مجالات التعليم والتجارة وغيرها. زد على هذا أن كثيرًا من الجرائم التي تقع في لحظة ضعف عند الغضب أو الحقد والحسد يمكن تجنبها بالالتزام بالثوابت مع تغير الأحوال. ومع تغير الزمان واشتداد الفتن، تشتد الحاجة إلى التذكير بهذا ونشر الوعي السليم، لا سيما وقد ظهرت أفكار تروّج للشباب خاصة ما يتنافى مع القيم الإسلامية تحت عنوان "العناية بالنفس" عند الحزن أو الغضب أو الضيق. ومع إمكان الكتابة تحت اسم مستعار على الشبكة العنكبوتية، فقد زلَّ كثير من الناس وأظهروا على ساحات الانترنت ما لا يظهرونه مع من يعرف من هم. بأسلوب استقرائي

برهاني تحليلي سأظهر ما هي أسباب هذا التلون والتغير، وما هي الطريقة لمعالجته، وكيف السبيل لتذكير المسلم بما يتوافق مع أسلوب الحياة في أيامنا بما ينبغي أن يبقى ثابتًا عليه في حياته اليومية مع تغير أحواله، مما يريحه ويصلحه وينعكس على المجتمع كافة؟ يطرح هذا البحث هذه النقاط مع التركيز على النصوص الواردة المتعلقة بهذا الموضوع ويخلص الى نتيجة أكيدة أن التأسي برسولنا الكريم ينور قلوب ودروب السالكين.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق– الثبات– التغير– القيم.

Humankind Between the Stability of Moral Values and the Changes in Psychological States

Fidauldeen Noussayba Sakr.

College of Literature and Humanities, Islamic Studies, International University of Beirut, Lebanon.

Email: noussayba@hotmail.com

Abstract:

Patience and steadfastness in upholding good morals are strongly emphasized in Islamic teachings. The Prophet's life and the conduct of his companions reflect this commitment, which fostered trust in Islam, made people feel at ease with Muslims, and assured them in their dealings with them. This steadfastness, unaffected by changing circumstances, was evident even in political dealings with both Muslims and non-Muslims. Such consistency should extend to all aspects of a Muslim's life—at home, work, in society, and among friends and family .Recently, ideas - often clashing with Islamic values - promoting self-care in moments of sadness, anger, or frustration have emerged. The ability to post under pseudonyms online has led many to display behaviors on the internet that they would not show to those who know them personally .Using an inductive, demonstrative, and analytical approach, this research explores the causes of this inconsistency and the means to address it. It aims to remind Muslims of values aligned with their way of life, benefiting society as a whole. The study reaches a definitive conclusion: emulating our Prophet (pbuh) illuminates the hearts and paths of those who follow.

Keywords: morality – stability – change – values

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى جميع إخوانه النبيين وآل كل وصحب كل الطيبين الطاهرين.

وبعد: فإن للأخلاق الأثر الكبير في الحياة، سواء كان الكلام على الفرد، أو الزوجين في البيت، أو الأسرة، أو المجتمع ككل. وفضلًا عن كونها في النفس فإنه يظهر أثرها في الأفعال.

أهمية الموضوع:

المجتمع المحصَّن هو المجتمع المؤلف من أفراد تربّت على القيم السامية والأخلاق العالية، أفراد تعلمت ما لها من حقوق وما عليها من واجبات ومسؤوليات، أفراد عرفت حدودها ولم تتعدّها، أفراد عضُّوا بالنواجذ على تعاليم الشرع، وسكنت قلوبهم وعمرت بجمال وبركة الالتزام.

وما الأسرة إلا خلية من قفير المجتمع؛ فلا بد من غرس الأسس الصحيحة والأخلاق العالية والمفاهيم الراقية والعادات السامية في نفوس الأفراد إذا أردنا الوصول إلى بناء أسرة قوية تكون نواة المجتمع الصلب، الذي تتحطم عنده الأزمات وتتفكك دون أن تترك آثارها فيه، وبالتالي نلمس عمران البلاد بعد صلاح العباد، فإن قمنا بالتوجيه والإعداد والتهذيب كان حسن التنشئة سببًا للحصول على بذرٍ نافع يسري نفعه إلى من حوله في المجتمع، فيزهر ويثمر ويكون شجرة وارفة يتفيأ في ظلها المواطن الصالح الملتزم.

أسباب اختيار الموضوع:

تتأثر أخلاق كثير من الناس بالمتغيرات التي تطرأ عليهم، فما يظهر في غضبه غير ما يظهر في رضاه، وخلقه في الفرح يختلف عن خلقه في الحزن، وحاله مع الفقير ليس كحاله مع الغني. بل قد يتسبب تغير أخلاقه بتغير أفعاله

حتى يصل إلى حد الوقوع في المعصية، وهذا مخالف لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال[1]: "**اتَّقِ اللهَ حَيْثُما كنتَ**".

ومع ازدياد المتغيرات في حياتنا اليومية، نلاحظ وبشكل واضح تذبذبًا في أخلاق وأفعال كثير من الناس، حتى عمَّ هذا الأمر الصغير والكبير والغني والفقير، هذا مع انتشار الجهل بالأحكام الشرعية وكثرة من يتصدَّر للكلام فيما ينبغي أن يكون عليه الواحد وكيف تكون الشخصية السليمة، وطال الكلام في هذا وتشعب، فكل واحد له مقاييس عن الصواب والخطأ، فكان لا بدَّ من بيان ما ورد في الدين في ذلك.

إشكالية البحث:

ستنحصر إشكالية بحثي بالآتي:

- ورد في الدين الحث على الالتزام بالحدود الشرعية مع ما يطرأ على الشخص من أحوال وتغيرات، فما هو المعين على ذلك؟
- ما هي الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الأمر؟
- كيف السبيل لإصلاح الخلل الواقع من التفلت في الأفعال والأقوال عند الاضطرابات التي يكثر وقوعها في زماننا؟
- لمَ يظهر على الانترنت من البعض خلق سيئ مما لا يظهره أمام الناس؟ وكيف تكون معالجة ذلك؟

الدراسات السابقة:

لا تخلو كتب العلماء من حفاظ ومفسرين وفقهاء ما يشتمل على ذكر التغيرات في الأخلاق والأحكام المتعلقة بهذا، لكنها مفرَّقة في كتبهم غالبًا، ولم

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، الحديث (١٩٨٧)، عن أبي ذر رضي الله عنه. قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح" اهـ.

أجد من جمع كتابًا أو عمل بحث علميًا يجمع فيه بيان الكلام في ذلك على تفاصيله من حيث النظر إلى التغيرات النفسية وربط ذلك بالتغير في الأخلاق، مع التعرض للأحكام الفقهية المتعلقة بذلك، والتنبيه مما ينتشر بين الناس مما يخالف هذا تحت دعوى "العناية بالنفس".

وفي جامعة الملك عبد العزيز في جدة قدمت رسالة دكتوراه تحت عنوان: "الأخلاق بين الثبات والتغير: دراسة فكرية مقارنة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي"، عام ٢٠١٣، لعبد الرحمن بن سعد الجهني، كان التركيز فيها على هذه المقارنة.

وفي جامعة آل البيت في الأردن كتبت رسالة ماجستير تحت عنوان: "الأخلاق الإسلامية بين الثبات والنسبية: دراسة عقدية"، عام ٢٠١٣، كان التركيز فيها في الكلام على الأخلاق انطلاقًا من منظور العقيدة.

ونشر الدكتور عبد الرزاق سعود في الجامعة العراقية في بغداد بحثًا بعنوان: "دراسة تحليلية لتأثيرات المنظومة القيمية الأخلاقية في بناء السلوك المتطرف"، عام ٢٠١٩، تكلم في جزء منه على تأصل الأخلاق في الفرد وأثر هذا في السلوك، من حيث ما يوصل البعض بفهمه الخاطئ إلى التطرف.

ونشرت حولية أصول الدين والدعوة الإسلامية في طنطا عام ٢٠١٩ بحثًا تحت عنوان: "المنظومة الأخلاقية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن الفكري"، تأليف مجموعة من الباحثين، تركز فيه الكلام على دور الأخلاق على الأمن الفكري والمجتمعي.

منهج البحث:

سعيت أن ينحصر منهجي في البحث بالمناهج الآتية:

١- المنهج "البرهاني"، إذ من الضروري أن نعود إلى نهج النبي والسلف الصالح.

٢- المنهج "التحليلي التفسيري"، لفك مصطلحات يستعملونها ومعاني بعض الكلمات الواردة في البحث.

٣- المنهج" الاستقرائي"، حيث أحتاج إلى تتبع العادات والحوادث في الماضي والحاضر لاستخلاص العبر.

خطة البحث:

وتناولت الموضوع في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها إشكالية البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: الثبات، معناه والحث عليه وما ورد فيه، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: معنى الثبات، وما ورد فيه في القرءان والسنة.
- المطلب الثاني: الثبات في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم.
- المطلب الثالث: الثواب العظيم في الثبات.

المبحث الثاني: أثر الثبات والتغير في الفرد والمجتمع، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: أثر الثبات في الشخصية والثقة بها.
- المطلب الثاني: أثر الثبات في راحة الفرد النفسية.
- المطلب الثالث: الثبات والتغير بين الزوجين.
- المطلب الرابع: الثبات وأثره في القضاء والشهادة.
- المطلب الخامس: الثبات في السر والخفاء، والانتباه لفخ الشبكة العنكبوتية

المبحث الثالث: ما يعين على الثبات، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: بيان الفرق بين الاختياري وغير الاختياري مما يطرأ على الإنسان.
- المطلب الثاني: الاختبار عند التغير وكيفية التعامل معه.
- المطلب الثالث: التدريب وبذل الجهد.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول

الثبات، معناه والحث عليه وما ورد فيه

المطلب الأول: تعريف الثبات، والحث عليه في القرءان والسنة:

الثبات ضد الزوال، والثبات والثبوت ضد التزلزل(١). وثبت الشيء ثبوتًا دام واستقرَّ فهو ثابت(٢).

لقد حضَّ الشرع الكريم وأكّد أمر الثبات على دين الإسلام، من تصديق وإيمان بالله ورسوله، وعلى الثبات على العمل بشريعته، مع التسليم والانقياد للأحكام الشرعية، في كل وقت وفي كل مكان حتى يموت الشخص ويخرج من دار التكليف. قال الله تعالى: ﴿**واعبُد ربَّك حتى يأتيك اليقين**﴾(٣)، فما لم يأتِ الموت ولم يزُل عن العبد التكليف فمطلوب منه أن يثبت على أداء ما أوجب الله، وأن يحرص على الالتزام بالأخلاق التي يرضى الله لعبده الاتصاف بها. والله تعالى عالِم باختلاف الأحوال التي تتعاقب على المكلَّف وتفاوتها في الشدة والرخاء بل هو مقدّرها وخالقها، وهو الرحيم الحكيم.

وفي تقرير ذلك نجد في القرآن الكريم مدحَ المؤمنين الذين ثبتوا على ما عاهدوا الله عليه وصدقوا عهدهم فقال الله الحكيم: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وما بدَّلوا تبديلًا**﴾(٤). ومن فضل الله أن أظهر لنا في السابقين أبطالًا كانوا رمزًا للصمود والثبات رغم التعذيب فكانوا لنا قُدوةً يُحتذى بها.

---

(١) المناوي، **التعاريف**، ص٢١٩.

(٢) الفيومي، **المصباح المنير**، مادة (ث ب ت)، ص٤٩٩.

(٣) سورة الحجر، ءاية ٩٩.

(٤) سورة الأحزاب، ءاية ٢٣.

عن أنس[١] رضي الله عنه قال: غاب عمِّي أنس بن النضر[٢]عن قتال بدر، فقال[٣]: "يا رسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلتَ المشركين، لئنِ اللهُ أشهدني قتالَ المشركين ليرين الله ما أصنع"، فلما كان يوم أُحُد وانكشف المسلمون، قال: "اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني أصحابه – وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء – يعني المشركين – ثم تقدم"، فاستقبله سعد بن معاذ[٤]، فقال: "يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد"، قال سعد: فما استطعت يا

---

(١) هو الصحابي أنس بن مالك بن النضر، خادم رسول الله ﷺ، يكنى بأبي حمزة، أمه أم سُليم بنت ملحان الأنصارية، قدم رسول الله ﷺ المدينة وهو ابن عشر سنين، وهو من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ، روى عنه ابن سيرين، وثابت البناني وخلق كثير، واختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره، فقيل: توفي سنة ٩١هـ، وقيل: سنة ٩٢هـ، وقيل غير ذلك، وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة. القرطبي، **الاستيعاب**، ج١، ص١٠٩. ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج١، ص٢٩٤.

(٢) هو الصحابي أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري، عم أنس بن مالك، قتل يوم أحد شهيدًا، روى عنه سعد بن معاذ وأنس ابن مالك. أبو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، ج١، ص٢٣٠. القرطبي، **الاستيعاب**، ج١، ص١٠٨.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلًا﴾، الحديث (٢٨٠٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وروى نحوه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، الحديث (١٩٠٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) هو الصحابي سعد بن معاذ بن النعمان، أبو عمرو، الأنصاري الأشهلي، سيد الأوس، أسلم على يد مصعب بن عمير رضي الله عنه، وأمر قومه بالإسلام فأسلموا. شهد بدرًا باتفاق، ورمي بسهم يوم الخندق، فعاش بعد ذلك شهرًا حتى حكم في بني قريظة، ثم انتقض جرحه فمات سنة خمسٍ. وقد جاء في الصحيح أنه اهتزَّ العرش لموته رضي الله عنه. ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٢، ص٤٦١. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٣، ص٧٠-٧١.

رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحدٌ إلا أختُهُ ببنانه(١) قال أنس: " كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾(٢) إلى آخر الآية. قال ابن حجر(٣): "وفي قصة أنس بن النضر من الفوائد جواز بذل النفس في الجهاد وفضل الوفاء بالعهد ولو شق على النفس حتى يصل إلى إهلاكها"(٤).

وعن خبَّاب بن الأرتّ(٥) رضي الله عنه قال(٦): شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد بُرْدة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: "**كان الرجلُ فيمن قبلَكم يُحفر له في الأرض فيُجعل فيه**

---

(١) قال العسقلاني: "البنان الأصبع أو طرف الأصبع". العسقلانيّ، **فتح الباري**، ج٦، ص٢٣.

(٢) سورة الأحزاب، ءاية ٢٣.

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد شهاب الدين العسقلاني المعروف بابن حجر الشافعيّ. ولد بمصر بشاطئ النيل سنة ٧٧٣هـ، قرأ على ابن القطّان وتفقّه بالبلقيني وأخذ عن الفيروزباديّ وعكف على الزين العراقي، تحوَّل إلى القاهرة فسكنها، وارتحل إلى البلاد الشامية والمصرية والحجازية، من مصنفاته "فتح الباري في شرح صحيح البخاري" و"لسان الميزان" و"الإصابة في أسماء الصحابة"، توفي سنة ٨٥٢هـ بالقاهرة. أبو الطيب الفاسيّ، **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**، ج١، ص٣٥٢-٣٥٧. السخاويّ، **الضوء اللامع**، ج٢، ص٣٦-٤٠.

(٤) العسقلانيّ، **فتح الباري**، ج٦، ص٢٣.

(٥) هو الصحابي خباب بن الأرت بن جندلة، من السابقين الأولين من المهاجرين، من أول من أظهر إسلامه وممن عُذب في الله وصبر على دينه، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد كلها مع النبي ﷺ، روى عنه ابنه عبد الله ومسروق وغيرهما كثير، نزل بالكوفة ومات بها سنة ٣٧هـ. القرطبي، **الاستيعاب**، ج٢، ص٤٣٧. ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٢، ص١٤٧.

(٦) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، الحديث (٣٦١٢)، من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُشق باثنتين، وما يصدُّه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصدُّه ذلك عن دينه، والله لَيَتِمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخافُ إلا اللهَ أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون". فبيَّن ﷺ لخبَّاب رضي الله عنه أهمية الثبات، وضرب له أمثال من سبق ممن يتأسى بهم في ذلك ممن لم يتغير حاله مع شدة ما نزل به.

وعن أبي ذر[1] رضي الله عنه قال[2]: قال لي رسول الله ﷺ: "**اتق الله حيثما كنت**". فإذًا، في كل وقت، وفي كل مكان، يجب على الشخص أن يكون متقيًا لله مجتنبًا ما حرَّم تبارك وتعالى، لا يحيد عن الأخلاق التي بيَّنها الشرع الحنيف فيقعَ فيما نهي عنه، لا في حال فرحه ولا في حال حزنه، ولا في رضاه ولا في غضبه.

المطلب الثاني: الثبات في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد تفضّل الله علينا أن بعث لنا رسولَه ومبلِّغ شريعته محمدًا ﷺ، فكان أعظم قدوة لنا في امتثال أحكام الدين الإسلامي الحنيف والالتزام بقيمه، كيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسولِ الله أُسوةٌ حسَنة**﴾[3]، فإنّ سائر

---

(١) هو الصحابي أبو ذر جندب بن جنادة، أسلم والنبي ﷺ بمكة أول الإسلام، فكان رابع أربعة، وقيل: خامس خمسة، وقد اختلف في اسمه ونسبه اختلافًا كثيرًا، ولمّا أسلم رجع إلى بلاد قومه، فأقام بها حتى هاجر النبي ﷺ فأتاه بالمدينة بعدما ذهبت بدر وأحد والخندق، وصحبه إلى أن مات عليه الصلاة والسلام، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه أنس بن مالك وابن عباس وغيرهما كثير، وكانت وفاته بالربذة سنة ٣١هـ. ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج١، ص٥٦٢. العسقلانيّ، **الإصابة**، ج٧، ص١٠٥.

(٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، باب ما جاء في معاشرة الناس، الحديث (١٩٨٧). قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

(٣) سورة الأحزاب، ءاية ٢١.

أحواله ﷺ أضحت مثالًا يُحتذى به، وأعظم ما تجلّى منها ثباتُه ﷺ فيها، عند الغضب وعند الفرح، وفي الرخاء والشدة.

لثباته ﷺ صور متنوّعة متعددة، كان لها الحظّ الأوفر في واقع حياته وجميل سيرته وشمائله، فمن ذلك ثباتُه ﷺ في الدعوة إلى الله، فقد قاسى ﷺ ما قاسى من أذى كفار قريش في مكة، ولم يثنه ذلك عن تبليغ دعوته، فما كان منه إلا أن ثبت أمامهم وصبر عليهم، وقد خيّر الله تعالى نبيّه محمدًا ﷺ [(١)] بين أن يدمّر أولئك الظلمة بإنزال العذاب فيهم أو يذَرَهم، وذلك أن الله تعالى قد بعث للنبيﷺ ملك الجبال فقال له: "إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبَيْن"، وهما جبلا أبو قُبيس والجبل الذي يُقابله قُعيقِعان بمكة، فقال صلى الله عليه وسلم: "**بل أرجو أن يُخرِج الله من أصلابهم مَن يعبدُ اللهَ وحدَه لا يُشرِكُ به شيئًا**". لم يدفعه أذى قريش وضيقه منهم في ذلك الوقت، الذي وصل إلى حد أنه وصفه ﷺ بأنه من أشد ما لقي منهم، إلى أن يغير حبَّه للخير لهم وصبره على أذاهم. كيف لا وقد كان من علامات نبوته ﷺ أنه لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا[(٢)].

ومن صور ثباته ﷺ أيضا ثباتُه عند وفاة الكثير من أحبابه في حياته، مع عمق الحزن الذي ينزل عند هذه الأحداث، ففي تأمّلِ حاله حينئذ عِظة وسلوى وعزاء، ففي فترة وجيزة مات عمّه أبو طالب الذي كان يمنع المشركين من أذاه وينصره ويحميه، ثم ماتت زوجته الوفيّة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ثم مات جمع من بناته، كما مات ابنه إبراهيم، فلم يزد على أن قال ﷺ[(٣)] وقد

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما غفر له ما تقدم من ذنبه، الحديث (٣٢٣١)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) الحاكم، **المستدرك**، ج٣، ص٧٠٠.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: "إنا بك لمحزونون"، الحديث (١٣٠٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

دمعت عيناه: "**إن العينَ تدمع، والقلبَ يحزن، ولا نقولُ إلا ما يُرضي ربَّنا، وإنا بفراقك يا إبراهيمُ لمحزونون**".اه فما فتَّ ذلك في عضدُهِ، ولا قلّل من عزيمته وصبرِه.

زد على ذلك ثباتَه ﷺ على الأخلاق والمبادئ والقيم، فقد بلغ رسول الله ﷺ الغاية في الكمالات وما زال يترقى فيها، والتوازن في شمائله مثالٌ جليّ على ثباته، فحالُه على منوال واحد، ثابتة مع تغير الأحوال والظروف، تستوي حالُه قبل المصيبة بحالِه بعدها، وهذا يظهر في استدامته ﷺ ذكرَ فضل زوجته خديجة حتى بعد وفاتها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت[1]: ما غِرتُ على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: "**أرسِلوا بها إلى أصدقاء خديجة**"، قالت: فأغضبته يومًا، فقلتُ: خديجة، فقال رسول الله ﷺ: "**إني قد رُزقت حبّها**".

حتى إنّ خادمَه أنسَ بن مالك شهِد بما رآه من الثبات العجيب طيلة خدمته له فقال[2]: "خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أفًّا قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلتَ كذا؟ وهلّا فعلت كذا؟". والخادم قد يكون من أكثر من يتأثر بتغير أحوال مخدومه النفسية، فإن الواحد قد يغضب أو يسأم ولا يظهر هذا لصديقه أو أخيه، فإذا وصل إلى خادمه لم يتحرج عن أن يفلت لنفسه العنان فيكون الخادم هو من يتحمل آثار هذا التغير، للنظر إليه بأنه أدون من المخدوم، وعدم مراعاته كمراعاة غيره.

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، الحديث (٢٤٣٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، الحديث (٢٣٠٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

المطلب الثالث: الثواب العظيم في الثبات:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول[١]: "**إنّ المؤمنَ ليدرك بحُسن خُلُقه درجةَ الصائم القائم**". وحسن الخلق عبارة عن ثلاثة أمور: كف الأذى عن الناس، وتحمل أذى الناس، وأن يعمل المعروف مع الذي يعرف له إحسانه ومع الذي لا يعرف له، والغالب أن الأذى من الناس يؤثر في نفس الشخص، وكذلك أن لا يُعرف للواحد المعروف الذي أحسن به، ومع ذلك فالمطلوب حتى يصدق اتصافه بحسن الخلق أن يتحمل هذا الأذى ويصبر، فيصون الواحد دينه وأعماله عن أن تكون عرضة للتأثر بما يعرض من الحوادث المختلفة، وهذا سعد بن أبي وقاص[٢] رضي الله عنه، كان بينه وبين خالد بن الوليد[٣] رضي الله عنه شيء، فذُكر خالدٌ عند

---

(١) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، الحديث (٤٧٩٨).

(٢) هو الصحابي سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف، ابن أبي وقاص، من العشرة المبشرين بالجنة، وكان ءاخرهم موتًا، وأمه كبشة بنت رافع، لها صحبة، روى عن النبيﷺ كثيرًا، وكان أحد الفرسان، وهو أول من رمى بسهم في سبيل اللَّه. شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وهو أحد الستة أهل الشورى. وكان رأس من فتح العراق، وولي الكوفة لعمر وهو الّذي بناها. وكان مجاب الدعوة مشهورًا بذلك. مات في العقيق سنة إحدى وخمسين، وقيل غير ذلك، وحمل إلى المدينة ودفن فيها. ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٢، ص٤٥٢. العسقلاني، **الإصابة في معرفة الصحابة**، ج٢، ص٢١٥-٢١٩.

(٣) هو الصحابي خالد بن الوليد بن المغيرة، سيف الله، كان أحد أشراف قريش في الجاهليّة، وشهد مع كفّار قريش الحروب إلى عمرة الحديبيّة، ثم أسلم في سنة سبع، وقيل غير ذلك، وشهد مع رسول اللَّه ﷺ فتح مكّة. وله الأثر المشهور في قتال الفرس والروم، وافتتح دمشق، وكان في قلنسوته التي يقاتل بها شعر من شعر رسول الله ﷺ يستنصر به وببركته، فلا يزال منصورًا. مات بمدينة حمص سنة إحدى وعشرين، وقيل غير ذلك. ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٢، ص٤٥٢. العسقلاني، **الإصابة في معرفة الصحابة**، ج٣، ص٦١-٦٢.

سعد، بكلام عليه، فقال سعد للمتكلم زاجرًا له، ومبينًا له أنه لا يغير ثوابته وأخلاقه بحسب حاله مع الشخص وهل بينهما وفاق أو خلاف: "مَهْ!(١) إنَّ ما بيننا لم يبلغ ديننا"(٢).

ومما ذكره النبي ﷺ (٣) فيما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه في صفة المنافق أنه: "**إذا خاصم فجر**"، هذه صفة المنافق، وليست صفة كامل الإيمان، أما كامل الإيمان فلو خاصم لا يؤديه هذا إلى الوقوع في الباطل.

ويظهر من هذا أن عدم التأثر بالتغيرات النفسية التي يجدها الواحد في نفسه عند الإساءة إليه، وعدم شكره على ما يعمله من الإحسان، بل ومقابلة هذا الإحسان بالإساءة... ويظهر هذا واضحًا في حديث النبي ﷺ، قال عقبة بن عامر(٤) رضي الله عنه قال(٥): لقيتُ رسول الله ﷺ فبدرته فأخذت بيده وبدرني فأخذ بيدي فقال: "**يا عُقبةُ، ألا أخبركَ بأفضلِ أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تَصِلُ مَن قطعَكَ وتعطي مَن حَرَمَكَ وتعفو عمن ظلمك**".

---

(١) مه: كلمة بنيت على السكون، وهو اسم سمى به الفعل، ومعناه أكفف، لانه زجرٌ. الجوهريّ، **الصحاح**، مادة (م ه ه)، ج٦، ص٢٢٥٠.

(٢) الطبراني، **المعجم الكبير**، ج٤، ص١٠٦. قال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح". الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج٧، ص٤٥٥.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المظالم والغصب، باب إذا خاصم فجر، الحديث (٢٤٥٩).

(٤) هو الصحابي عقبة بن عامر بن عبس الجهني، يكنى بأبي حماد، وقيل غير ذلك، روى عن النبي ﷺ كثيرا، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وسعيد بن المسيب، كان قارئا عالما بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعرا كاتبا، وهو أحد من جمع القرآن، توفي رضي الله عنه بمصر سنة ٥٨هـ. ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٤، ص٥١. العسقلانيّ، **الإصابة**، ج٤، ص٤٢٩.

(٥) الحاكم، **المستدرك**، ج٤، ص١٧٨.

وعن أبي أمامة[١] رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال[٢]: "**مَن أحبَّ لله، وأبغضَ لله، وأعطى لله، ومنعَ لله، فقد استكمل الإيمان**".

من قصد أن تكون أفعاله لله، على ما يرضي الله، بما يوافق أوامر الله، بما يتماشى مع إرشادات الرسول ﷺ، يريد بها الوصول إلى ثواب الله، وبقي على استحضار لهذا، ساعده هذا على أن تتجرد أفعاله عن أغراض الدنيا وأهواء النفوس، وعن أن تتأثر بما يشعر به، فلا يتوقف إحسانه للآخرين على رضاه عنهم وميل نفسه إليهم، وإذا منع فلا يكون منعه لأجل نفور نفسه من فلان، بل لموافقة ما يرضي الله تعالى، فيتصدق على الفقير وإن كان يشعر بنفور منه، ولا يعطي ولده المال وهو يعلم أنه يريد أن يُفسد به باستعماله فيما لا يرضي الله، وإن كانت محبته لولده شديدة، فهو يعطي لله ويمنع لله. وصف النبي صلى الله عليه وسلم من كان هذا حاله بأنه استكمل الإيمان، هذا يكون من كمال إيمان الشخص، ويا لفوز المؤمن الكامل.

---

(١) هو الصحابي أبو أمامة صُدَيّ بن عجلان بن الحارث الباهلي، غلبت عليه كُنيته، سكن حمص من الشام، روى عن النبي ﷺ فأكثرَ، وعن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وغيرهم، وممن روى عنه شرحبيل بن مسلم وشهر بن حوشب، توفي سنة ٨١هـ، وهو ءاخر من مات بالشام من الصحابة. ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٣، ص١٥. العسقلاني، **الإصابة**، ج٣، ص٣٣٩-٣٤١.

(٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب السنّة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، الحديث (٤٦٨١).

المبحث الثاني

أثر الثبات والتغير في الفرد والمجتمع

المطلب الأول: أثر الثبات في الشخصية والثقة بها:

عن ابن عباس[١] رضي الله عنهما قال[٢]: لما نزلت: ﴿**وأنذِر عشيرتَك الأقربِين**﴾[٣] صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: "**يا بني فِهْر، يا بني عدي**" لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال ﷺ: "**أرأيتُكم لو أخبرتُكم أنّ خيلًا بالوادي تريد أن تُغيرَ عليكم، أكنتم مُصَدِّقِي؟**" قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلا صدقًا، قال: "**فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد**". بينت قريش أن ما عهدوه من ثبات النبي ﷺ على الصدق والأمانة يكون كافيًا لهم ليصدقوه، لأن هذا الثبات له دلالة على الشخصية وله أثر في قبول الكلام والثقة به. ولكن بلغ بكفار قريش العناد إلى حد أنه لم يصدقوا من عرفوا أنه "الصادق الأمين" ﷺ. وهذا هرقل يقول لأبي سفيان[٤]: "وسألتُكَ: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول

---

(١) هو حبر الأمة ترجمان القرءان أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات وحنكه النبي ﷺ، وقد دعا له النبي ﷺ بقوله: "اللهم فقهه في الدّين وعلِّمه التأويل". وصفه سيدنا عمر رضي الله عنه بقوله: "ذاكم فتى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول". شهد مع سيدنا علي صفين وكان أحد الأمراء فيها، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ. ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٣، ص١٩٢-١٩٥. العسقلانيّ، **الإصابة**، ج٢، ٣٣٠-٣٣٤.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك﴾، الحديث (٤٧٧٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) سورة الشعراء، اية ٢١٤.

(٤) البخاري، **صحيح البخاري، كتاب تفسير القرءان**، ﴿باب قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله﴾، الحديث (٤٥٥٣)، من حديث أبي سفيان رضي الله عنه.

ما قال، فزعمتَ أن لا، فعرفتُ أنه لم يكن ليَدَعَ الكذبَ على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله".

وعن عبد الله بن عمرو[١] قال[٢]: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول اللهﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول اللهﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: "اكتُبْ فوالذي نفسي بيدِهِ ما يخرُجُ منه إلا حَقٌّ". فلم يقل النبي ﷺ إنه لا يغضب، لكن بيَّن أنَّ غضبه لا يخرجه عن الأمانة والاستقامة. وقد وصفه ربه فقال تعالى[٣]: ﴿**وما يَنطِق عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌ يوحَى**﴾. عصمه الله تعالى في أحواله كلها من أن يخرج كلامه عن الاستقامة.

وقد أراد النبي ﷺ أن يرشد أمته إلى أهمية هذا المنهج، لعلمه ﷺ بأهمية الثبات في بناء أمة تقود إلى ما فيه الفلاح والنجاح، مع كل ما يطرأ على الفرد من الأفراد من النوائب والمصائب والابتلاءات. وعن حذيفة[٤] رضي الله عنه

---

(١) هو الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص، يكنى أبا محمد، أسلم قبل أبيه، وكان فاضلًا حافظًا، قرأ الكتاب وكتب حديث النبيّ ﷺ، قال أبو هريرة رضي الله عنه: "ما كان أحد أحفظَ لحديث رسول الله ﷺ منِّي إلا عبد الله بن عمرو، فإنه كان يَعِيْ بقلبه وأَعِيْ بقلبي، وكان يكتبُ وأنا لا أكتب"، توفي سنة ٦٣هـ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وقيل غير ذلك. القرطبيّ، **الاستيعاب**، ج٣، ص٩٥٦-٩٥٧. العسقلانيّ، **الإصابة**، ج٤، ص١٦٥-١٦٧.

(٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، الحديث (٣٦٤٦)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. قال العراقي: "إن إسناده صحيح". العراقي، **المغني عن حمل الأسفار**، ج٢، ص٨٤٤.

(٣) سورة النجم، الآيتان ٣-٤.

(٤) هو صاحب السر أبو عبد الله، حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، وقيل: حذيفة ابن اليمان؛ لأنه من ولد اليمان بن جروة بن الحارث، هاجر هو وأبوه إلى النبي ﷺ فخيّره بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة وحالف بني عبد الأشهل، وعُدّ في الأنصار لحِلفه،=

قال: قال رسول الله ﷺ [١]: "**لا تكونوا إمَّعة[٢] تقولون: إن أحسن الناس أحسنَّا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وَطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا**".

إن هذا الثبات والمنهج السوي جعل المخالط لمن التزم به مرتاحًا للتعامل معه، سواء كان من المسلمين أم من غير المسلمين. وإذا نظرنا في قصة سيدنا علي مع الذي أخذ درعه وكان كافرًا، نرى جملة من الأمور التي تسبب مشاعر مختلفة. عن شريح[٣] قال[٤]: رأى عليٌّ درعه في يد يهودي يبيعها في السوق، فقال له علي: "هذه الدرع درعي، لم أبع ولم أَهَب". فقال اليهودي: "درعي وفي يدي". فقال علي: "نصيرُ إلى القاضي". فتقدما إلى شريح، فقال شريح: "قل يا أمير المؤمنين". فقال: "نعم، إن هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي، لم أبع ولم أهب"، فقال شريح: "ما تقول يا يهودي؟" فقال: "درعي وفي يدي". فقال

=شهد أحدًا، روى عنه عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، سكن الكوفة وتوفي سنة ٣٦هـ بالمدائن بعد قتل عثمان رضي الله عنه بقليل ولم يُدرك الجمل. الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، ج٢، ص٢٦-٢٧. ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج١٢، ص٢٥٩-٣٠٢.

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، الحديث (٢٠٠٧). قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه".

(٢) الإمَّعة الذي لا رأي له، فهو يتابع كل أحد على رأيه، والهاء فيه للمبالغة. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج١، ص١٦٤.

(٣) هو شريح بن الحارث بن قيس أبو أمية القاضي، مختلف في صحبته، أخرج أبو نعيم عن شريح قال: وليت القضاء لعمر وعثمان وعليٍّ فمَن بعدهم إلى أن استعفيتُ من الحجَّاج، وكان أعلم الناس بالقضاء، ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل، قال له عليّ: "يا شريح أنت أقضى العرب"، عاش مائة وعشرين سنة، ومات سنة ٧٨هـ، وقيل غير ذلك. ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٢، ص٦٢٤. العسقلانيّ، **الإصابة**، ج٣، ص٢٧٠-٢٧٢.

(٤) أبو نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء**، ج٤، ص١٤٠.

شريح: "يا أمير المؤمنين بيِّنة"، قال: "نعم، قَنْبَر[١] والحسن[٢] يشهدان أن الدرع درعي"، قال: "شهادة الابن لا تجوز للأب"، فقال: "رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة"، فتعجب اليهودي مما رآه وقال: "أمير المؤمنين، قدَّمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه! أشهد أنَّ هذا الحق، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن الدرع درعُكَ، كنت راكبًا على جَمَلِكَ الأورق وأنت متوجه إلى صِفِّين، فوقعت منك ليلًا فأخذتها".

التزم عليّ رضي الله عنه بما يرضي الله، ولم يسمح لضيقه أن يخرجه عن الاستقامة، لا حين رأى درعه مع الرجل، ولا حين أكذب الرجل عليًّا وهو أمير المؤمنين! ولا حين لم يكتف القاضي بقوله رضي الله عنه وطالبه ببينة، ولا

---

(١) هو قنبر مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، روى عنه ابنه كثير بن قنبر. بصري يروي عن سالم بن عبد الله بن عمر. روى عنه يزيد بن زريع ومحمد بن سواء . الدارقطني، **المؤتلف والمختلف**، ج٤، ص٤١. ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، ج٧، ص١٤٦.

(٢) هو الصحابي أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب، سبط رسول اللَّه ﷺ وريحانته، ولد في نصف شهر رمضان سنة ٣هـ، وقيل غير ذلك، أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وسلم؛ بويع له يوم مات أبوه رضي الله عنه، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ، روى عن النبي أحاديث حفظها عنه، منها في السنن الأربعة، وروى أيضا عن أبيه وأخيه الحسين، روى عنه ابنه الحسن وعائشة أم المؤمنين وغيرهما، وفي البخاري عن أبي بكر: رأيت النبي ﷺ على المنبر والحسن بن علي معه وهو يُقبل على الناس مرة وعليه مرة، ويقول: «إنّ ابني هذا سيّد، ولعلّ اللَّه أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»، وكان آخر ولايته رضي الله عنه تمام ٣٠ سنة و١٣ يوما من أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولم يزل الحسن بالمدينة إلى أن مات بها في شهر ربيع الأول سنة ٤٩هـ وله ٤٧ سنة. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٢، ص٦٥. العسقلاني، **الإصابة**، ج٢، ص٦٠.

حين ردَّ القاضي شهادة ابنه، وناهيك به من ابن، فهو الحسن رضي الله عنه. وهذا ما أدى بالرجل إلى أن يسلم أمام عظمة هذا المشهد.

المطلب الثاني: أثر الثبات في راحة الفرد النفسية:

إن الراحة النفسية والسكون الداخلي أمر مهم جدًّا للإنسان، والاضطرابات التي تعكِّر صفو الشخص يظهر أثرها في حياته ويؤثر في كثير من جوانبها. وكثيرًا ما نجد من تتنازعه العواطف والأفكار في انعكاس مباشر لتغير الأحوال النفسية، فلا يعرف كيف يتعاطى مع مشاعره، ويحتار ولا يدري كيف يتعامل مع بعض المواقف، لا سيما مع اختلاف الناس في تعاطيهم معه.

إن التزام المسلم وثباته، واتخاذه إرشادات الشرع الحنيف سبيلًا واضحًا ومنهجًا راسخًا توفِّر عليه هذه الاضطرابات، فمتى ما أيقن واستحضر أن راحته في اتباع تعاليم رسول الله ﷺ، سلِم من الوقوع في فخ الشيطان الذي يوسوس له أن راحته في اتباع نفسه هواها عند الشهوة، وفي التنفيس عن غضبه بما لايرضي الله عند الغضب، وفي قطع الرحم عند الانزعاج منهم، وفي معاداة الصديق عند وقوع الزلل منه.

ليس مما يخدم صحتك النفسية أن لا تحسن التعامل مع التغيرات في أخلاقك، تغيراتك أنت، وتغيرات من حولك، فتلجأ إلى العزلة والبتر، وليس هذا مراد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله[1]: "اعتزل ما يؤذيك"، وقد قال رسول الله ﷺ[2]: "المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم".

---

(١) البيهقي، **شعب الإيمان**، ج١٢، ص٤٧.

(٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، الحديث (٢٥٠٧)، عن ابن عمر رضي الله عنهما. ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، أبواب الفتن، باب الصبر على البلاء، الحديث (٤٠٣٢)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قال الطحاوي في مشكل الآثار[١]: "وقد روي عن رسول الله ﷺ في حديث أبي ذر الذي قد رويناه فيما تقدَّم من كتابنا هذا في الثلاثة الذين يحبهم الله، فذكر فيهم رجلًا له جار يؤذيه فيصبر على أذاه ويحتسبه حتى يفرج الله له منه، إما بموت وإما بغيره. وإذا كان من هذه سبيله من محبة الله عز وجل إياه على ما هو عليه منها، وإنما هو في صبره على إيذاء رجل واحد، كان مَن بذل نفسه للناس وخالطهم وصبر على أذاهم واحتسبه بذلك أولى، وبالزيادة من الله تعالى له فيه أحرى".

إن كون الاتصاف بالأخلاق الحميدة والإحسان إلى الناس منهجًا لا يحيد عنه الشخص يقتضي أن لا يهتز كلَّما أساء إليك شخص أو تغيرت مشاعرك نحوه. وقد أنزل الله تعالى ما يدل على هذا. قالت عائشة رضي الله عنها[٢]: "فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مِسْطَح ابن أُثاثة[٣] لقرابته منه وفقره: "والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال"، فأنزل الله: {**ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**}، قال أبو

---

(١) الطحاوي، **مشكل الآثار**، ج١٢، ص٢١٧.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا، الحديث (٢٦٦١). مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، الحديث (٢٧٧٠).

(٣) هو الصحابي مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصيّ المطلبيّ. كان اسمه عوفًا، وأما مسطح فهو لقبه، وأمه بنت خالة أبي بكر، أسلمت وأسلم أبوها قديما. شهد بدرًا. كان فيمن جلد بسبب قذفهم عائشة رضي الله عنها. مات سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه، ويقال: عاش إلى خلافة عليّ رضي الله عنه وشهد معه صفّين، ومات في تلك السّنة سنة سبع وثلاثين. ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٤، ص٨-٩. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج٦، ص٧٤.

بكر: "بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي"، فرَجَعَ إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: "والله لا أنزعها منه أبدًا".

إن المطلوب من الدعاة بيان هذا وتفهيمه للناس، لا سيما مع الموجة التي نشهدها في أيامنا التي تدعو إلى هجر مَن لا تعجبك تصرفاته، من غير تفريق في ذلك بين الأرحام وغيرهم، تحت دعوى "العناية بالنفس"، وجهلوا أو تجاهلوا أن أسمى صور العناية بالنفس التزام تعاليم الدين الحنيف، وقد قال تعالى[1]: {**من عمل صالحًا فلنفسه**}، فنفعُ النفس في عمل الصالحات.

المطلب الثالث: الثبات والتغير بين الزوجين:

لقد ذم الشرع ما تقع به بعض النساء من كفران العشير، فإذا تغيرت مشاعرها تجاه الرجل أنكرت ما له من الفضل السابق وأساءت إليه. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ[2]: "**أُريت النار فإذا أكثرُ أهلها النساء، يكفرن**" قيل: أيكفرن بالله؟ قال: " **يكفُرن العشير، ويكفُرن الإحسان، لو أحسنتَ إلى إحداهنّ الدهرَ ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قط**". قال النووي[3] في العشير: "وهو في الأصل المعاشر مطلقًا والمراد هنا

---

(١) سورة فصلت، الآية ٤٦

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون كفر، الحديث (٢٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) هو محيي الدّين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، من أعلام أهل الترجيح في المذهب الشافعي، ولد في المحرم سنة ٦٣١هـ، ونشأ ببلده نوى. عُرف رضي الله عنه بالزهد والقناعة، ومتابعة السّلف من أهل السنة والجماعة، والمصابرة على أنواع الخير، هذا مع التفنن في أصناف العلوم فقهًا وحديثًا ولغةً وتصوفا وغيرَ ذلك، ومن أبرز مشايخه: الشيخ كمال الدين إسحاق المغربي، والشيخ أبو إسحاق المرادي، ومن تلاميذه: علاء الدين بن العطار، أبو الحجاج المزي. لم يتزوج رضي الله عنه. ولي دار الحديث في الأشرفية سنة خمس وستين إلى أن توفي بنوى في رجب سنة ٦٧٧هـ ودفن فيها. تصانيفُه كثيرة منها: كتاب "روضة الطالبين وعمدة المفتين"، وكتاب "المجموع". ابن السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٨، ص٣٩٥. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج٢، ص١٥٣.

الزوج"[١]، قال[٢]: "ومعنى الحديث أنهن يجحدن الإحسان"، فكثير من النساء عند تغير الأحوال تجحد الإحسان وما تقدم من الفضائل، فبيَّن النبي ﷺ أن هذا سبب للعذاب. والاعتراف بالفضل لصاحب الفضل وعدم إنكار الجميل لا يكون فقط عند الرضى عنه وحسن مصاحبته دون ما إذا حصل خلاف.

وكذلك يحصل من الزوج أحيانًا أن يسيء إلى المرأة ويقصر في حقوقها إذا تغيرت مشاعره نحوها، سواء فَتَرَتْ هذه المشاعر من غير أن تتحول إلى نقيض الحب، أو صار مبغضًا لها بعد أن كانت محبوبته. وقد نبَّه الله تعالى على أن الواحد لا ينبغي أن يفارق زوجته ويتغير في معاملتها لمجرد تغير مشاعره تجاهها. قال الله تعالى: ﴿**فإن كرهتموهُنّ فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعلَ الله فيه خيرًا كثيرًا**﴾[٣]، والمعنى: فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها، فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأدلى إلى الخير وأحبَّت ما هو بضد ذلك، فاصبروا عليهنَّ مع الكراهة[٤]. وبين تعالى أنه لو أراد الواحد أن يتزوج غير امرأته فليس له أن يتغير معها ويسيء إليها ويأكل حقها. قال تعالى: ﴿**وإن أردتم استبدالَ زوجٍ مكانَ زوج وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا أتأخذونه بهتانًا وإثمًا مبينًا**﴾[٥].

وفي ضوء هذا يتجلى معنى كلام الحسن البصري[٦] ناصحًا من سأله ممن يزوج ابنته

---

(١) النووي، **شرح النووي على مسلم**، ج٢، ص٦٦.

(٢) النووي، **شرح النووي على مسلم**، ج٦، ص١٧٥.

(٣) سورة النساء، اية ١٩.

(٤) النسفي، **تفسير النسفي**، ج١، ص٢١٠.

(٥) سورة النساء، اية ٢٠.

(٦) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري من سادات التابعين وأجلّهم، كان أبوه مولًى لرجل من الأنصار وأمُّه مولاةً لأمّ سلَمة زوجِ رسول الله ﷺ، وُلد في المدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتربّى في حِجر أمِّ سلمة.=

حيث قال[١]: "زوِّجْها مَن يخاف الله، فإن أحبَّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها". إذ إن التقي لا يترك مشاعره ونزواته تملي عليه أفعاله من غير نظر إلى حكم الشرع فيما يفعله، ولذلك يطمئن الأب إليه في تزويج ابنته واثقًا أنه بإذن الله لن يتعدى حدود الله معها، لا في حال حبه لها ولا إذا أبغضها.

نعم، قد يغضب الرجل أو المرأة، وهذا لا يخلو منه بيت غالبًا، لكن ليس معنى هذا أن يؤدي غضب الشخص إلى الاتصاف بسوء الخلق وظلم الآخر. روى البخاري أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه غاضَبَ يومًا فاطمة فخرج، فاضطجع إلى الجدار إلى المسجد، فجاءه النبي ﷺ يتبعه، فقال: هو ذا مضطجع في الجدار، فجاءه النبي ﷺ وامتلأ ظهره ترابًا، فجعل النبي ﷺ يمسح التراب عن ظهره ويقول: "**اجلس يا أبا تراب**"[٢]. فانظر كيف داراه النبي ﷺ مع ما لفاطمة من المحبة عنده ﷺ، وانظر كيف خرج سيدنا عليّ عندما غضب ولم يسئ إلى السيدة فاطمة. قال ابن حجر[٣]: "ويحتمل أن يكون سبب خروج علي خشية أن يبدو منه في حالة الغضب ما لا يليق بجناب فاطمة رضي الله عنهما، فحسم مادة الكلام بذلك إلى أن تسكن فورة الغضب من كل منهما، وفيه كرم خلق النبي ﷺ لأنه توجه نحو علي ليترضاه ومسح التراب عن ظهره

=عُرف بعِلمه وفصاحته وزهده وورعه وعبادته ومجالسِه التي تحُفُّها المواعظ. التقى رضي الله عنه بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وطلحة وعائشة رضي الله عنهم ولم يصحَّ له سماعٌ من أحدٍ منهم، رَوى عن أُبيّ بن كعب وأنسِ بن مالك رضي الله عنهما وغيرهما، وروى عنه عطاء بن السائب وعثمان البتيّ وغيرهما كثير، توفي في خلافة هشام سنة ١١٠هـ ودُفن في البَصرة حيث كان استقرارُه بها أخيرًا. ابن الجوزي، **عاداب الحسن البصري وزهده ومواعظه**، ص١٠. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، ج٢، ص٦٩.

(١) ابن أبي الدنيا، **النفقة على العيال**، ج١، ص٢٧٣.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب التكني بأبي تراب وإن كانت له كنية أخرى، الحديث (٦٢٠٤)، من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه.

(٣) العسقلاني، **فتح الباري**، ج١٠، ص٥٨٨.

ليبسطه وداعبه بالكنية المذكورة المأخوذة من حالته ولم يعاتبه على مغاضبته لابنته مع رفيع منزلتها عنده، فيؤخذ منه استحباب الرفق بالأصهار وترك معاتبتهم إبقاء لمودتهم".

المطلب الرابع: الثبات وأثره في الحكم والقضاء والشهادة:

قال الله تعالى: ﴿**يا داودُ إنّا جعلناكَ خليفةً في الأرضِ فاحكُم بين النّاسِ بالحق ولا تتّبعِ الهَوَى**﴾(١). قال الماوردي(٢) فيما ينبغي للحاكم: "ويحذر الغضب ويتوقاه... وقلَّ ما يسلم مع الغضب رأيٌ مِن زلل وكلام من خطل وفعل من عسف وحق من حرف ودين من جرح وعرض من قدح وجد من طيش وعدد من هيش فهو شر باهر... ثم يتصفح الذنب الذي أغضبه بعد سكون جأشه ويقابِلُ عليه بقدر استحقاقه إن لم يرَ له في العفو مدخلًا ولا في الصفح والتجاوز وجهًا؛ ليقف على الصواب في قضيته"(٣).

وانظر إلى سيدنا الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز كيف فطِن لهذا. روى الإمام أحمد أنه(٤) غضب عمر ابن عبد العزيز يوما على رجل غضبًا شديدًا، فبعث اليه، فأتي به فجرَّده ومدَّه بالحبال، ثم دعا بالسياط، حتى اذا قال الناس: هو ضاربه قال: "خلُّوا سبيله، أما أني لولا أني غضبان لَسُؤْتُهُ"، وتلا هذه الآية: ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾(٥).

---

(١) سورة ص، ءاية ٢٦.

(٢) أبو الحسن عليّ بن محمد، أقضى قضاة عصره، ولد في البصرة سنة ٣٦٤هـ، أخذ عن الصيمريّ وأبي إسحاق الأسفراينيّ، انتقل إلى بغداد وولي القضاء في بلدان كثيرة، نسبته إلى بيع ماء الورد، توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ، من كتبه "الحاوي" في الفقه الشافعي و"أدب الدنيا والدين". ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٢٨٢-٢٨٤. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج١، ص٢٣٠-٢٣٢.

(٣) الماوردي، **تسهيل النظر**، ص٧٢.

(٤) أحمد بن حنبل، **الزهد**، ٢٤٣.

(٥) سورة ءال عمران، ءاية ١٣٤.

ومن الأمور الأساسية في القضاء عدالة الشاهد، فإن شهادة الشهود لها أثر كبير في حكم القاضي، فإنه يعتمد على شهادته للحكم في كثير من الأحيان. ولذلك فإن من شرط الشاهد العدالة، حتى يوثق بقوله، ولا يُكتفى بالعدالة الظاهرة بأن لا يعرف له مُفَسِّق(١)، إنما تشترط العدالة الباطنة، وهي التي يُرجع فيها إلى قول الـمُزَكِّين(٢)، ويكون المزكي خبيرًا بباطن من يزكيه، مخالطًا له في الأحوال التي يظهر فيها مكنون الأسرار، وتكون مخالطته على امتدادٍ في الزمان(٣)، حتى تعلم عدالته، فإن الواحد قد يظهر منه في الغضب ما لا يظهر منه في الرضى، وقد يقول في الحزن ما لا يقوله في الفرح، فاحتيج إلى معرفة حاله ممن راقبه مع طول الزمن الذي يتخلله تغير الأحوال.

روى البيهقي(٤) أنه شهد رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشهادة فقال له: "لست أعرفك، ولا يضرك أن لا أعرفك. ائت بمن يعرفك"، فقال رجل من القوم: "أنا أعرفه"، قال عمر: "بأي شيء تعرفه؟"، قال: "بالعدالة والفضل"، فقال: "فهو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه؟"، قال: "لا"، قال: "فمعاملك بالدينار والدرهم اللذين بهما يستدل على الورع؟"، قال: "لا"، قال: "فرفيقك في السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق؟"، قال: "لا"، قال: "لست تعرفه". ثم قال للرجل: "ائت بمن يعرفك".

ولهذا، فإن الفاسق الذي لا تقبل شهادته، لو تاب لم تقبل شهادته فورًا بعد التوبة، بل لا بد من الاستبراء مدة، حتى يظهر بقرائن الأحوال صلاح سريرته وقدر بعضهم المدة هذه بسنة(٥) لتنقضي الفصول فإن العزائم تتغير فيه، وقيل

---

(١) الرملي، **نهاية المحتاج**، ج١، ص٩٩.
(٢) الرملي، **نهاية المحتاج**، ج٣، ص١٥٤.
(٣) الجويني، **نهاية المطلب**، ج١٨، ص٤٨٥.
(٤) البيهقي، **السنن الكبرى**، ج١٠، ص١٢٥.
(٥) الروياني، **بحر المذهب**، ج١٠، ص٣٣٥.

يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص[١]، فبذلك تحصل الثقة بشهادته، حين يظهر ثباته على الاستقامة.

ومن شروط القاضي أن يكون مأموناً في الرضى والغضب[٢]، فإن من كان رضاه وغضبه يخرجه عن الاستقامة لم يؤمن على هذا المنصب، وإن كان في حال خلوِّه عن هذه الأحوال ملتزمًا بالحدود الشرعية، فإذا تأثرت أخلاقه وأفعاله بالغضب والرضى يخشى أن يظلم في حكمه، لا سيما وأنه في موقع يحكم فيه بين الناس.

المطلب الخامس: الثبات في السر والخفاء، والانتباه لفخ الشبكة العنكبوتية:

سأل جبريل النبي ﷺ عن الإحسان، فقال له: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[٣]. إن من أصول عقيدة المسلم أن الله لا تخفى عليه خافية، مطلع على كل شيء، عالم بنا وبأحوالنا، يسمعنا ويرانا حيث كنَّا.

إن من الناس من أظهر على الانترنت وجهًا لا يظهره في حياته اليومية أمام الناس، فتراه يختبئ خلف أسماء مستعارة فيذم هذا، ويسب هذا، ويهدد هذا. ومنهم من يتكلم بكلام يخدش الحياء مع النساء، وهو لا يجرؤ أن يقوله لمن يقابله، ولكن شجَّعه ما توفَّر له من إمكان البقاء مجهول الهوية مع قول ما يريد.

وقد ذم الله الذين يستحون من الناس ولا يستحون من الله، وبين أنه تعالى محيط علمًا بكل ما يفعله الواحد. قال تعالى: ﴿**يَستخفُون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يُبَيِّتون ما لا يرضى من القول وكان اللهُ بما**

---

(١) الغزالي، **الوسيط**، ج٧، ص٣٦٢.

(٢) الماوردي، **الحاوي الكبير**، ج١٦، ص١٥٨. الروياني، **بحر المذهب**، ج١١، ص١٦١.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له، الحديث (٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يعملون محيطا﴾[1]. وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم.

وللأهل دور كبير في تربية الأولاد على المنهج السوي الذي يحمي من هذه الانحرافات، وينبغي أن يزرع فيهم هذا منذ الصغر، فيحفظ من القرءان ما يذكره بهذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿**ألم يعلموا أنّ الله يعلم سرَّهم ونَجْواهم وأنّ الله علّام الغيوب**﴾[2].

وقد ذكر في ترجمة الإمام سهل التستري[3] أنه كان سبب سلوكه هذا الطريق خاله محمد بن سوار[4]، فإنه قال: "قال لي خالي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت له: كيف أذكره قال: قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: "الله معي"، "الله ناظر إليَّ"، "الله شاهدي"، فقلت ذلك ليالي، ثم أَعْلَمْتُهُ، فقال: قلها في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال: قلها في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي حلاوة، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سري. ثم قال

---

(١) سورة النساء، الآية ١٠٨.

(٢) سورة التوبة، الآية ٧٨.

(٣) هو أبو عبد الله سهل بن محمد بن يونس التستري، الصالح المشهور، تخرج عن خاله محمد بن سوار ولقي أبا الشيخ ذا النون المصري بمكة، وكان له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة، ومن أصحابه أبو عبد الله محمد بن احمد بن سالم البصري، وهو راوية كلامه، توفي سنة ٨٣هـ، وقيل غير ذلك. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٢، ص٤٢٩. ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، ص٢٣٢.

(٤) هو محمد بن سوار البصري خال سهل بن عبد الله الزاهد، مقبول، روى عن ابن عيينة وأبي عاصم النبيل وغيرهما، وروى عنه سهل. المزّيّ، **تهذيب الكمال**، ج٢٥، ص٣٣٢. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج٩، ص٢٠٩.

لي خالي يومًا: يا سهل، من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده يعصيه؟! إياك والمعصية. فكان ذلك أول أمره" اهـــ. فانظر إلى اهتمام خاله به في صغره، وروي أن عمره كان عندما علمه ذلك ثلاث سنين.

وعلى الأهل أن يكون لهم دور في الحدِّ من الاستغراق في صرف الوقت على الانترنت، لا سيما فيما لا ينفع، وفيما يفتح أبوابًا من الشر قد يغرق فيها الشاب الذي يخالط في كثير من الأحيان من ليس ملتزمًا وعنده قابلية لأن ينجر إلى ظلمات تلك الشبكة. وهناك برامج عديدة تمكن الأهل من تحديد عدد الساعات التي يقضيها الولد متصلًا بالانترنت، كما أن هناك برامج تتيح حجب بعض المواقع التي يتوقع منها الفساد. وبمساعدة هذه الأدوات، يستطيع الأهل أن يجمعوا بين تمكين أولادهم من الاستفادة من النافع في الانترنت، مع حمايتهم من الفساد.

المبحث الثالث

ما يعين على الثبات

المطلب الأول: بيان الفرق بين الاختياري وغير الاختياري مما يطرأ على الإنسان:

إن قال قائل لما تنصحه بحسن الخلق عند الغضب والحزن وغيرهما من الأحوال الطارئة للإنسان: الله خلقني على هذا، جعل فيَّ هذا الغضب، يقال له هذا صحيح، وما يحصل في نفسك من فوران الدم أو الشعور بالحزن ليس بيدك ولا باختيارك، لكن أنت تختار ما الذي تقوله أو تفعله عند ذلك.

قال الرازي[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الإنسان خُلق هلوعًا**﴾[2]: "واعلم أن الهلع لفظ واقع على أمرين: أحدهما: الحالة النفسانية التي لأجلها يقدم الإنسان على إظهار الجزع والتضرع، والثاني: تلك الأفعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية. أما تلك الحالة النفسانية فلا شك أنها تحدث بخلق الله تعالى، لأن من خُلقت نفسه على تلك الحالة لا يمكنه إزالة تلك الحالة من نفسه، ومن خُلق شجاعًا بطلًا لا يمكنه إزالة تلك الحالة عن نفسه، بل الأفعال الظاهرة من القول والفعل يمكنه تركها والإقدام عليها، فهي أمور اختيارية، أما الحالة النفسانية التي هي الهلع في الحقيقة فهي مخلوقة على سبيل

---

(١) هو الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني الأصل ثم الرازي، ولد سنة ٥٤٤هـ، واشتغل على والده الإمام ضياء الدّين خطيب الرّيّ ثم على الكمال السمناني وغيرهما، وكان فريد عصره، ومتكلّم زمانه، أتقن علومًا كثيرة وبرز فيها، وتقدم وساد وقصده الطلبة من سائر البلاد، وقيل إنه كان يحفظ الشامل لإمام الحرمين في الكلام، توفي رضي الله عنه بهراة يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦هـ، من مصنفاته المشهورة: التفسير الكبير، والمحصول. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج٢، ص٦٥-٦٧. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٧، ص٤٠-٤٢.

(٢) سورة المعارج، ءاية ١٩.

الاضطرار"[١]. نعم، هناك ما تجده في نفسك مما هو ليس بيدك، لكن كيف تتصرف، وماذا تقول وماذا تفعل، وماذا تأتي وماذا تدع، كل هذا بيدك، هي أفعال اختيارية، والواحد يحاسب على كسبه، لا على ما يجده في نفسه من غير اختيار. قال الله تعالى: ﴿**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾[٢].

المطلب الثاني: الاختبار عند التغير وكيفية التعامل معه:

من الأسئلة التي تطرح كثيرًا في مقابلات العمل: "هل تحسن التعامل مع الضغط"؟، فإنَّ هذا أمر مهم جدًّا لأصحاب المؤسسات والشركات وغيرهم، فإنهم يريدون أن يكون موظفوهم ممن يعتمد عليهم ويهتمون بمصلحة عملهم بغض النظر عما يشعرون به، وقد يخضعون الشخص لدورة تدريبية شديدة ليظهر كيف يكون عمله وتصرفه مع التغيرات التي تطرأ خلال العمل.

الله عالم أزلًا وأبدًا بما يكون من الخلق وبكل ما يحصل في هذه الدنيا، فعلمه تبارك وتعالى لا يزيد ولا ينقص، وابتلى العباد ليظهر للخلق من يكون صابرًا ومن لا يصبر، ومن يتحمل ويثبت ومن يُغَيِّر. قال الله تعالى: ﴿**ولنبلونكم حتى نعلمَ المجاهدين منكم والصابرين**﴾[٣]، أي حتى يَظهر ما علمه الله تعالى أزلًا[٤]. قال البغوي[٥]: ﴿**ولنبلونكم**﴾ ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالجهاد والقتال ﴿**حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**﴾ أي علمَ الوجود، يريد حتى يتبيَّن المجاهد والصابر على دينه من غيره". فمن كان عالمًا أنه يُختبر، وأن ما يكون من ردة فعله هو داخل تحت أعماله التي هي محل التكليف، ألا يعينه تذكر

---

(١) الرازي، **تفسير الرازي**، ج٣٠، ص٦٤٣.

(٢) سورة البقرة، ءاية ٢٨٦.

(٣) سورة محمد، ءاية ٣١.

(٤) الطبري، **تفسير الطبري**، ج٢١، ص٢٢٣. الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج٤، ص٤٤٣. النسفي، **تفسير النسفي**، ج٣، ص٣٣٠.

(٥) البغوي، **تفسير البغوي**، ج٤، ص٢١٨.

هذا على السيطرة على ما يظهره من أخلاقه، بغض النظر عن التغيرات التي تطرأ عليه؟

قال الله تعالى: ﴿**وإذا ما غضبوا هم يغفرون**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس**﴾[٢]. في هاتين الآيتين مدح من كانت هذه صفته من المؤمنين، إذا غضب يغفر، إذا غاظ يكظم غيظه، إذا أسيء إليه يعفو، فهو مع هذه التغيرات التي تحصل له مما قد يجعل الواحد يتجاوز الحدود، لا يتجاوز حدوده، بل يعمل ما ينبغي أن يعمله من عالم أنه يختبر وأنه في دار ابتلاء، ويعرف أن الله تعالى حث على الالتزام بالأخلاق الحميدة في كل حال.

المطلب الثالث: العمل للتغيير:

لا يقل الواحد: "هذه أخلاقي وهكذا أنا، فكيف سأتغيَّر؟"، بل ليعمل على إصلاح نفسه وتهذيبها. ومما علم النبي ﷺ أمته من الدعاء[٣]: "**واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنِها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**". قال النووي: "قوله صلى الله عليه وسلم: "**اهدني لأحسن الأخلاق**" أي أرشدني لصوابها ووفقني للتخلق به. قوله: "**واصرف عني سيئها**" أي قبيحها"[٤]. هذا وقد قال الماوردي: "وليس يمكن صلاح جميعها بالتسليم إلى الطبيعة والتفويض إلى النحيزة[٥]، إلا أن يرتاض لها بالتقويم والتهذيب رياضة تهذيب وتدريج وتأديب"[٦].

---

(١) سورة الشورى، ءاية ٣٧.

(٢) سورة ءال عمران، ءاية ١٣٤.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، الحديث (٧٧١)، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) النووي، **شرح النووي على مسلم**، ج٦، ص٥٨.

(٥) النحيزة: الطبيعة. الجوهري، **الصحاح**، مادة (ن ح ز)، ج٣، ص٨٩٨.

(٦) الماوردي، **تسهيل النظر**، ص٤٧.

حسن الخلق يحتاج إلى التدريب والصبر والتعليم، ويحتاج إلى النية الصالحة، قال ﷺ [١]: "**ومن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله، ومن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، ومن يَتَصَبَّر يصبِّرْهُ الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبر**"، والمعنى: مَن يتصدَّ للصبر ويؤثره يُعِنْهُ الله عليه ويوفقه، فمن يتصبَّر أي من يعالج الصبر، وهو من باب التفعُّل، ففيه معنى التكلف، يصبِّره الله أي يرزقه الله صبرًا[٢]. فإذًا، قد تجد أن الالتزام بالأخلاق التي تعلم أنها مطلوبة منك ليس سهلًا على نفسك، وتشعر أن نفسك تقاومك، لكن عليك أن تثبت وتلتزم، مرة بعد مرة بعد مرة، وإن شاء الله تجد بعد ذلك أن هذا الالتزام صار أسهل عليك، وأن نفسك اعتاده.

وتذكَّر أن الشيطان يسعى للإفساد بينك وبين إخوانك، ويوسوس لهم لارتكاب ما يزعجك منهم، حتى تتقاتلا، فلا تعطِه بغيَتَه، ويروى عنه أنه كان لزين العابدين[٣] غلام فعمد إلى شاة فكسر رجلها فقال له: "لم فعلت هذا؟" قال: "فعلته عمدًا لأغيظك"، قال: "ما أنا أغيظ من الذي علمك وهو إبليس، اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى"[٤]، فانظر كيف سدَّ –رضي الله عنه– الباب على الشيطان، ولم يكتف بالتجاوز عنه بل زاد فأحسن إليه وأعتقه.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، الحديث (١٤٦٩)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) القرطبي، **المنتقى شرح الموطأ**، ج٧، ص٣٢٢. العيني، **عمدة القاري**، ج١٣، ص٤٩٣.

(٣) هو زين العابدين أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، لقِّب بذلك لكثرة عبادته، ولد سنة ٣٨هـ بالكوفة، أسند رضي الله عنه عن أبيه وابن عباس وعن خلق كثير من التابعين، وفضائله رضي الله عنه ومناقبه أكثر من أن تحصر، كانت وفاته سنة ٩٤هـ بالمدينة ودفن في البقيع. ابن الجوزي، **صفوة الصفوة**، ج١، ص٣٥٣. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٢٦٦.

(٤) الغزالي، **التبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص٢٥.

الخاتمـــة

وفي ختام هذا البحث الذي بيَّنَّا فيه المطلوب من الثبات على الأخلاق الرشيدة مع التغيرات النفسانية، نشير إلى أهم النتائج في النقاط الآتية:

- حث الشرع على الثبات على الأخلاق الحميدة مع تغير الأحوال وبيَّن أن هذا موصل إلى الفلاح.
- للثبات أثر كبير في بناء الشخصية السوية وينعكس ذلك على الأفعال والأقوال.
- للثبات والالتزام أثر كبير في أحكام فقهية بيَّنها العلماء في القضاء والشهادات.
- هناك فرق بين ما يجده الشخص في نفسه بغير اختياره وما يختار أن يقوله ويفعله، ومحل التكليف هو الثاني.
- تغير الأخلاق والأفعال بين ما يظهر في السر وما يظهر علانية أمر خطير ينبغي أن يعالجه الواحد.
- من الأخلاق ما يجده الشخص في نفسه ومنها ما يعمل الواحد ليصير من خلقه.
- يُختبر الواحد في هذه الدنيا ليُظهر الله للخلق ما يكون من حاله، والله عالم أزلًا وأبدًا بما هو كائن.

التوصيات:

- التنبيه من الدعاة على أهمية الثبات وبيان أن تغير الأحوال النفسانية لا يكون عذرًا لسوء الخلق.
- التركيز على بيان أن الاعتناء بالنفس هو بالالتزام بتعاليم الشرع، لا بالعمل بما يخالف هذه التعاليم من قطع الأرحام وهجر المسلم ومقابلة الإساءة بالإساءة.
- عدم الاكتفاء بالكلام العام من نحو: "حسن خلقك"، بل يصار إلى ما فيه تنبيه أدق على ما يكون موضعًا للزلل عند كثير من الناس، نحو: "عند الحزن قد

يسعى الشيطان لإيقاعك في المعصية فكن متيقظًا"، "حسن ظنك بأخيك لا ينبغي أن يكون متوقفًا على ميلك الشخص نحوه"، ونحو هذا، مما يساعد على التعامل مع بعض الحالات الخاصة التي قد لا يتنبه الواحد إليها.

- استخدام التكنولوجيا للمساعدة في هذا. وقد تعاونت مع المهندس الأمريكي فريد سيد أحمد خريج معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا على عمل تطبيق يتعلق بما يسمى الساعة الذكية التي تقيس نبضات القلب، فإذا ارتفعت هذه النبضات، وهذا كثيرًا ما يكون عند الضيق أو الغضب، يقوم التطبيق بإرسالة رسالة على الهاتف تذكر بالصبر وذكر الله، نحو أن يكون في الرسالة ذكر الآية: "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"، أو الحديث: "لا تغضب".

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

حرف الألف:

- اداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ابن الجوزي، تحقيق سليمان الحرش، بيروت، دار النوادر، ط٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

حرف الباء:

- بحر المذهب، الروياني، تحقيق طارق فتحي السيد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٩م.

حرف التاء:

- تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- تأويلات أهل السنة، (تفسير الماتريدي)، أبو منصور الماتريدي، مجدي باسلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- التبر المسبوك في نصيحة الملوك، أبو حامد الغزالي، أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، الماوردي، تحقيق محيي هلال السرحان وحسن الساعاتي، بيروت، دار النهضة العربية، د.ط، د.ت.

- تفسير الطبري، ابن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، سوريا، دار الرشيد، د.ط، ١٤٠٦ه/١٩٨٦م.
- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، الهند، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط١، ١٣٢٦ه.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٠ه/١٩٨٠م.
- التوقيف على مهمّات التعاريف، المناويّ القاهريّ، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

حرف الحاء:

- الحاوي الكبير، الماوردي، تحقيق علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، مصر، مطبعة السعادة، د.ط، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

حرف الذال:

- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، أبو الطيب الفاسي، تحقيق كمال يوسف الحوت، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

حرف الزاي:

- الزهد، أحمد بن حنبل، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠ه/١٩٩٩م.

حرف السين:

- سنن أبي داود، أبو داود السِّجِسْتاني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، بيروت، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- سنن الترمذي، الترمذي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- السنن الكبرى، البيهقيّ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

حرف الشين:

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، تحقيق محمود الأرناؤوط، دمشق/بيروت، دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- شرح صحيح مسلم، النوويّ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.

حرف الصاد:

- الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- صحيح البخاريّ، البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت.

حرف الضاد:

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

حرف الطاء:

- طبقات الأولياء، ابن الملقن، تحقيق نور الدين شريبه، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- طبقات الشافعيّة الكبرى، تاج الدين السبكيّ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، مصر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.
- طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، تحقيق عبد العليم خان، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ.

حرف العين:

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت.

حرف الفاء:

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ.

حرف الميم:

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، تحقيق حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، د.ط، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيوميّ، بيروت، المكتبة العلمية، د.ط، د.ت.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ.
- المعجم الكبير، الطبرانيّ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهانيّ، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، الرياض، دار الوطن للنشر، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، زين الدين العراقي، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- المنتقى شرح الموطأ، القرطبي، مصر، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٣٢هـ.

حرف النون:

- النفقة على العيال، ابن أبي الدنيا، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، السعودية، دار ابن القيم، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، محمد بن أحمد الرملي، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- نهاية المطلب في دراية المذهب، عبد الملك الجوينيّ، تحقيق عبد العظيم محمود الدّيب، جدة، دار المنهاج، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

حرف الواو:

- الوسيط في المذهب، أبو حامد الغزالي، تحقيق أحمد محمود إبراهيم ومحمد محمد تامر، القاهرة، دار الإسلام، ط١، ١٤١٧هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلّكان، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٧٢م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع
١	**ملخص البحث**
٢	**المقدمة**
٣	**اشكالية البحث**
٤	**الدراسات السابقة**
٥	**منهج البحث**
٦	**خطة البحث**
٧	المبحث الأول: الثبات، معناه والحث عليه وما ورد فيه
٨	المطلب الأول: معنى الثبات، وما ورد فيه في القرءان والسنة.
٩	المطلب الثاني: الثبات في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم.
١٠	المطلب الثالث: الثواب العظيم في الثبات
١١	المبحث الثاني: أثر الثبات والتغير في الفرد والمجتمع
١٢	المطلب الأول: أثر الثبات في الشخصية والثقة بها.
١٣	المطلب الثاني: أثر الثبات في راحة الفرد النفسية.
١٤	المطلب الثالث: الثبات والتغير بين الزوجين.
١٥	المطلب الرابع: الثبات وأثره في القضاء والشهادة.
١٦	المطلب الخامس: الثبات في السر والخفاء، والانتباه لفخ الشبكة العنكبوتية
١٧	المبحث الثالث: ما يعين على الثبات، وفيه ثلاثة مطالب:
١٨	المطلب الأول: بيان الفرق بين الاختياري وغير الاختياري مما يطرأ على الإنسان.
١٩	المطلب الثاني: الاختبار عند التغير وكيفية التعامل معه.
٢٠	المطلب الثالث: التدريب وبذل الجهد.
٢١	الخاتمة
٢٢	فهرس المصادر والمراجع
٢٣	**فهرس الموضوعات**